# قضايا وآراء

أخبار الخليج

العدد (17593) - السنة الحادية والخمسون - الأحد 7 ذو الحجة 1447هـ - 24 مايو 2026م


# أبونا آدم.. ومصادر المعرفة!

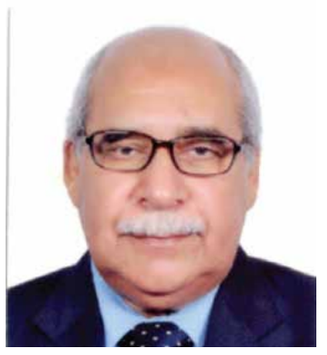


بقلم:
عبدالرحمن علي البنفلاح


نبأ مهم يحمله الله تعالى إلى الملائكة، وذلك في قوله تعالى: «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون» (البقرة: 31).

هذا هو النبأ المهم والمستعجل! الذي نقله الله تعالى إلى ملائكته لا ليأخذ الإذن منهم، فالله تعالى له مطلق الحرية في أن يفعل في كونه ما يشاء، لكنه جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته سبحانه لا يريد أن يفاجأ ملائكته بمثل هذا النبأ العظيم والمهم، وسوف يبين الحكمة من وراء ذلك من خلال هذا الإعلان في أن هناك من هو أعظم في المنزلة عند الله تعالى، وحتى لا تزهو الملائكة، فيظنون أنهم أعظم منزلة ومقامًا عند الله تعالى، وهذا الظن هو السبب الذي جعل الشيطان يخسر منزلته عند الله، قال تعالى: «وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (31) قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم (32)» سورة البقرة.

لقد أراد الحق سبحانه وتعالى أن يبين لملائكته حكمته البالغة في اختيار آدم للخلافة في الأرض، وكان من الممكن أن يخبر الملائكة بأن آدم يستحق هذا الاختيار لأنه تميز عنهم بمعرفته العلم والأسماء لكنه ابتلاءً منه لآدم عليه السلام طلب من آدم عليه السلام أن ينبئهم بذلك، فقال جل جلاله: «قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون» (البقرة: 33).

فحكم الحق سبحانه وتعالى باستحقاق آدم لهذا التميز على الملائكة، وهم عباد معصومون.. «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» (التحريم: 6).

ومن خلال هذه القاعدة المعرفية التي تحققت لأبينا آدم (عليه السلام) صار واجبًا على الملائكة أن يسجدوا لآدم استحقاقًا لهذه المكانة التي تأهل لها بالمعرفة، فالملائكة لم يسجدوا لآدم في أول أمره معهم، بل سجدوا له بعد أن اكتسب المعرفة وأمرهم الله تعالى بالسجود له، ولم يكن ذلك في بداية ابتلائه بل بعد تسلمه لواء المعرفة التي تحققت له وحده، وحسده الشيطان على هذه المكانة، ولقد بدأت مصادر المعرفة تتنامى بين يديه جامعة تجارب الرسل والأنبياء السابقين حتى بلغت القمة، وأخذ لواء المعرفة ينتقل من نبي مرسل إلى إخوانه من الأنبياء المرسلين، وتكاملت مصادر المعرفة حتى بلغت المنزلة التي بلغها رسول الله محمد رسول الإسلام (صلى الله عليه وسلم)، قال تعالى: «ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم ما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيمًا» (النساء: 113).

وهكذا لم يستغن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بما أكرمه الله تعالى بالعلم الذي وصل إليه من أبيه آدم (على رسولنا عليه الصلاة والسلام) بل كان دعاؤه دائمًا: «فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علمًا» (سورة طه: 114).

ولقد أعان الله تعالى رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) على حفظ القرآن إلى درجة أنه صلوات ربي وسلامه عليه كان يستعجل في التلاوة والحفظ مخافة أن يفوته شيء من القرآن، وكان الله تعالى يطمئنه على حفظه وتلاوته، وأن الذي أنزل عليه القرآن وكلفه بحفظه والعناية به قادر على أن يحقق له ما يرجوه من حسن العناية بالقرآن؛ لأنه سبحانه كما علم أباه آدم عليه السلام سوف يعلمه ويعينه على الحفظ وحسن التلاوة خاصة أن هذا القرآن يجمع بين المعجزة الدالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في بلاغه عن الله تعالى، ويحمل أيضًا في طياته منهج حياة إذا التزم به المسلمون، فسوف يحققون الحضارة، ويستعيدون مجد الخلافة الراشدة في الأرض.

# فضائح «بن غفير» تكشف حقيقة إسرائيل أمام العالم

بقلم:
أكرم عطا الله ○


سأندهش لو أن الوزير الإسرائيلي المتطرف بن غفير لم يكن همجياً إلى هذا الحد، كما كنت سأندهش لو أن إسرائيل تتصرف بمعايير إنسانية ووفق القانون الدولي. فالمسألة ليست مسألة مؤسسات دولية ونظم، بل إن السلوك سواء كان فردياً أو جمعياً هو عبارة عن منتج ثقافي حضاري طويل تبلورت خلاله الشخصية القومية من خلال تجمع عوامل عدة منها الديني بلا شك.

وبن غفير غارق في تجسيد شخصية حقيقية هي جزء من وعي جمعي أدى إلى هذا الحريق في المنطقة ولن يتوقف. يوصف العقل الإسرائيلي من البعض بأنه مختل، وليس المقصود في هذا شتيمة أو موقفاً معادياً بقدر ما أن الأمر نابع عن قراءة للشخصية التي تحمل هذا القدر من التشوه المرتبط بقدم النصوص والانغلاق على الذات.

وهنا بن غفير واحد من منتجات التاريخ والهوية الملتبسة. قبل ثلاثة عقود تماماً، في مايو 1996، اقتحم شخص شبه مغمور عالم السياسة في إسرائيل وهو يزاحم آباء حزب الليكود موشيه أرنبز ودافيد ليفي وغيرهما، كان هذا بنيامين بن تسيون نتنياهو ليفوز على شمعون بيريس برئاسة حكومة إسرائيل في انتخابات ما بعد مقتل رابين بعكس كل التوقعات، وكأصغر رئيس وزراء في تاريخها. لا أحد توقع ذلك، لا السياسيون ولا المحللون ولا مراكز الاستطلاعات.

كان الأمر مفاجئاً، وفي صباح ذلك اليوم الذي أفقنا فيه على انقلاب الصورة رأيت نفسي أهرع إلى المكتبة باحثاً عن كتابه «مكان بين الأمم» في محاولة لفهم أفكار نتنياهو التي لم تكن خافية تماماً كوريث لليمين.

في مقدمة الكتاب كان لافتاً أن يطلق على فلسطين «أرض الآباء والأجداد»، وما إن أنهيت الكتاب في اليوم نفسه سارعت لأبحث بعده عن سر تلك المقولة، وكان لا بد من قراءة التوراة بمضامينها ورواياتها؛ لأبحث عن تفسير لماذا تصر إسرائيل على استمرار الاحتلال، ولماذا لا تعترف بحقوق الغير ومصدر النظرة الفوقية للآخر.

بعدها نشرت دراسة في مجلة «رؤية» للأبحاث، وهي مجلة مهمة صدرت على شكل كتاب. كانت فكرة الأستاذ رياض الحسن ويدير تحريرها الشاعر الأستاذ خالد جمعة وكانت تتجاوز البعد الفلسطيني نحو كتاب عرب من عديد العواصم.

كان عنوان الدراسة «أصل الشرور في العودة إلى الجذور»؛ فالدين يفسر الكثير من سلوك البشر وحجم العنف لدى أتباعه، ومأساة إسرائيل أن الدين والقومية هما شيء واحد، وباعتبار السياسة هي هوية ومصالح قومية لا بد أن يكون بن غفير تجسيداً لحالة بشكل أو بآخر.

مشاهد اعتداء بن غفير التي أثارت أوروبا كانت القشة التي قصمت ظهر بعير الموقف الأوروبي الغاضب أصلاً؛ فقد اعتدت إسرائيل سابقاً على سفينة ما في مرمرة وقتلت منهم وسط صمت أوروبي، لكن بين تلك وهذه جرت مياه كثيرة في نهر السياسة الإسرائيلية العكرة.

صحيح أن من تعرض للإيذاء بعضهم أوروبيون ولكن إسرائيل أهانت ونكلت ومنعت أوروبيين سابقاً وسط صمت الحكومات.

فأوروبا التي باتت تشهد تحولات وانزياحات ضارة بسبب إسرائيل التي دفعت رئيساً أمريكياً مثل ترامب إلى حرب إيران، تسببت بضربة شديدة للاقتصاد الأوروبي، الذي لم يكن في أحسن حالاته نتيجة حرب أوكرانيا وجمارك ترامب، وإغلاق مضيق هرمز أدى إلى ارتفاع الأسعار ليتسبب بنقمة على الأحزاب الحاكمة لتدفع ثمن ذلك في الانتخابات.

لكن الخطر أن الانزياح الغاضب يحدث لصالح قوى يمينية بعضها فاشي يهدد بنية المجتمعات واستقرارها، كما حدث بفوز حزب الإصلاح اليميني الذي يقوده نايجل فراج الذي اكتسح بلديات بريطانيا بعد أن كان على هامش الحياة.

هكذا تدفع إسرائيل إلى تخريب العالم الذي بدأ يتخذ مواقف أكثر حدة ووضوحاً من تسجيل سابقة العقوبات للبيان الأوروبي في قضية أسطول الصمود.

الوزير المتطرف أيضا سموتريتش تطاول على المستشار الألماني، ونتنياهو غاضب على ماكرون، وسانشيز في إسبانيا يصر على معاقبة إسرائيل بقسوة، واليمينية الإيطالية جورجيا ميلوني توقف اتفاق تعاون أمني مع إسرائيل. أما رئيسة إيرلندا فهي تصرخ بقوة، وفي بريطانيا يدرك العماليون أن إسرائيل سبب خسارتهم.

هذه هي الجبهة الثامنة التي أصيبت فيها إسرائيل بالهزيمة، فمنذ عامين ونصف العام يتحدث نتنياهو عن سبع جبهات في غزة والضفة ولبنان وسورية والعراق وإيران واليمن، ثم أضاف جبهة ثامنة هي جبهة الإعلام «هسباراة» التي خصصت لها 2.3 مليار شيكل لحملات الدبلوماسية العامة والدعاية للتصدي للانتقادات الغربية وتلك هي النتيجة.

في معركة «الهسباراة» لا تدرك إسرائيل أنها تملك كل مقومات هزيمتها، فكيف يمكن لدولة احتلال أسود أن تبيّض صفحتها؟

تلك مهمة لا يقدر عليها العقل البشري وخصوصاً أن إسرائيل تميزت عن أي احتلال سابق بفوقية فجة، حاول يسار إسرائيل إخفاءها وهو يقيم علمانية أوروبية، لكن كما ينقل وول ديورانت في كتابه «قصة الحضارة» نقلاً عن فولتير مقولة: «أنت تستطيع خداع بعض الناس كل الوقت وكل الناس بعض الوقت لكن أن تخدع كل الناس كل الوقت فتلك مهمة مستحيلة».

○ كاتب من فلسطين.

# الكعبة المشرفة من الفكرة إلى الرمزية الكونية للمكان

بقلم:
د. زكريا الخنجي


ليس من اليسير أن يُقرأ بناء الكعبة بوصفه حدثًا تاريخيًّا مجردًا؛ لأن هذا الحدث، في عمقه لا ينتمي إلى التاريخ بقدر ما ينتمي إلى بنية المعنى في الوجود الإنساني، إنّه لحظة يتجلى فيها سؤال قديم ومتجدد: هل يتبع الإنسان شروط الطبيعة فيبني حيث الماء والخصب، أم يسبق المعنى الطبيعة فيؤسس لها من جديد؟

في هذا الأفق، يظهر فعل سيدنا إبراهيم عليه السلام لا كاستجابة لشروط العمران، بل كتحويل جذري لها، إذ يقيم مركزًا كونيًا للروح والإنسان في موضع يخلو من كل مقومات الحياة المعروفة، في (واد غير ذي زرع)، ومن هنا تنبثق المفارقة الأولى التي تشكل نواة هذا البحث: كيف يولد أعظم رمز للتجمع الإنساني في أكثر الأمكنة عزلة؟

لقد درجت الحضارات على أن تنشأ حيث تتوافر شروط البقاء: الماء، التربة، المناخ. غير أن المشهد الإبراهيمي يقلب هذه القاعدة رأسًا على عقب، فالنص القرآني لا يذكر خصب الأرض ولا وفرة الموارد، بل يؤكد انتفاءها، إذ يقول تعالى «بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ».

وهذا الوصف ليس تقريرًا جغرافيًا فحسب، بل هو إعلان عن فراغ مقصود؛ فراغ يُنَزَّه فيه المكان من كل إغراء مادي، ليتهيأ لاحتضان معنى خالص. فالمكان هنا لا يُعرَّف بما يقدمه للإنسان، بل بما يطلبه منه: أن يتجه، أن يقيم، أن يملأ الفراغ بالصلاة. إنه انتقال من الجغرافيا إلى الميتافيزيقا؛ حيث لا يعود المكان إطارًا محايدًا، بل يصبح شريكًا في صياغة التجربة الروحية.

فالوادي غير ذي الزرع ليس مجرد توصيف جغرافي، بل هو رمز للعدم الأولي؛ ذلك الفراغ الذي لم يُصنَع بعدُ في بنية، فعندما يقول تعالى: «بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ»، فإنه يضعنا أمام حالة مَن ألا تَعيَن، حالة يمكن وصفها:

○ لا ماء؛ وهذا يعني لا حياة ظاهرة.

○ لا زرع؛ بمعنى لا استقرار.

○ لا عمران؛ بمعنى عميق وهو لا ذاكرة تاريخية.

وهذا الفراغ هو، فلسفيًا، أقرب ما يكون إلى الصفحة البيضاء التي تسبق الكتابة، فالكتابة وكذلك البناء لا يمكن أن تنشأ فوق امتلاء سابق، بل تحتاج إلى مساحة من الصمت والفراغ. ومن هنا، يصبح اختيار هذا الوادي إعلانًا صامتًا عن أن المعنى الأصيل لا يولد من كثرة، بل من قلة؛ لا من وفرة، بل من انكشاف.

## الإنسان بوصفه شرط التأسيس المكاني

ويمكن الملاحظة أنه قبل الشروع في البناء المادي، يبرز حدث إسكان السيدة هاجر وسيدنا إسماعيل عليه السلام في هذا الوادي، وهو ما تشير إليه الآية: «إني أسكنت من ذريتي»، وهنا تتجلى طبقة رمزية عميقة وهي أن الإنسان نفسه هو الحجر الأول في بناء المعنى، والحضارة، فلا يمكن أن يقوم بيتٌ لله في مكان، قبل أن يقوم (بيت الإيمان) في القلب، وهذا المعطى يقدّم دلالة أساسية مفادها أن تأسيس المكان يبدأ بتأسيس الإنسان. فالمكان لا يتحول إلى مركز إلا عبر وجود إنساني يحمل معنى، وهو ما يتجسد في:

○ فالسيدة هاجر؛ هي رمز للثقة المطلقة في العناية الإلهية.

○ وسيدنا إسماعيل عليه السلام؛ كرمز للامتداد الزمني للمعنى.

إنهما معًا يشكلان اللحظة الحيّة التي تسبق التجسد المادي، وبهذا المعنى، فإن الكعبة لم تُبنَ أولاً بالحجارة، بل بالتوكل والإيمان بالله سبحانه وتعالى. ومن ثم جاءت البنية الرمزية للمكان التي تنشأ من تفاعل الإنسان مع المعنى، لا من خصائص البيئة.

## الكشف عن المكان وبناء الكعبة

حينما يقول تعالى «بوّأ لإبراهيم مكان البيت»، فإننا لا نكون أمام إرشاد جغرافي فحسب، بل أمام كشف عن موضع مميز في بنية العالم، المكان هنا لا يُكتشف صدفة، بل يُكشف وحيًا؛ وكأنه كان موجودًا بالقوة في نظام الكون قبل أن يظهر بالفعل في التاريخ، وهذه الفكرة تفتح أفقًا فلسفيًا عميقًا: أن بعض الأمكنة لا تُختار، بل تُستخرج من خريطة خفية للمعنى، وأن الكعبة ليست نقطة على الأرض بقدر ما هي محور خفي يتجسد.

ثم بعد ذلك يقول تعالى في النص القرآني عن عملية البناء بقوله: «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت»، والتعبير (يرفع) بدلاً من (يبني) يحمل دلالة دقيقة؛ فهو يوحي بأن الأساس سابق، وأن الفعل ليس خلقًا من عدم، بل استعادة لما كان مودعًا في العمق. بهذا المعنى، يصبح البناء فعل تذكّر، لا ابتكارًا مطلقًا، وإن سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يخترع البيت، بل يوقظه من غيابه، وسيدنا إسماعيل عليه السلام، بمشاركته، لا يحمل الحجارة فقط، بل يشترك في نقل الذاكرة عبر الأجيال.

## الكعبة كرمز كوني

إن اختيار هذا الموضع في وسط الصحراء ليس تفصيلًا عرضيًا، بل شرطًا بنيويًا، فالفراغ هنا يؤدي وظيفة مزدوجة:

○ يعزل المكان عن الصراع المادي والتنافس على الموارد.

○ ويجعل التوجه إليه نابعًا من دافع خالص، لا من منفعة.

وقد فهم بعض المفسرين أن خلو المكان من أسباب الطمع الدنيوي يحفظه من صراع الجبابرة، ويُبقيه مهيأً للعبادة وحدها، وبهذا المعنى، تصبح الكعبة تجربة في تنقية الدافع الإنساني، فلا يأتيها من يريد شيئًا، بل من يريد الاتجاه الآخر.

ففي هذا المكان ولادة مفهوم جديد للمكان، فالمكان يمكن وصفه أنه مركز ينظم الوجود، إذ إن الكعبة ليست مجرد بناء، بل نقطة يتوحد عندها الاتجاه، ومن حول إيها يتشكل في ذاته فضاء معنوي يجعل الإنسان، أينما كان، مرتبطًا بها بخيط غير مرئي، هو القبلة.

وهنا يتحقق التحول الأكبر؛ من مكان مهجور إلى محور عالمي، ومن فراغ جغرافي إلى قطب روحي يجذب الأفئدة، كما دعا إبراهيم: «فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ».


Zkhunji@hotmail.com


# أزمة الدولة العراقية بسبب الارتهان للهيمنة الإيرانية


بقلم:
إياد الدليمي ○


لم يكن العراق بمعزل عمّا جرى من حرب إسرائيلية أمريكية على إيران، بل وجد نفسه في عين العاصفة؛ إذ تحوّل العراق منذ اللحظة الأولى لتلك الحرب إلى جبهة إسناد ودعم لطهران. ربّما صدم هذا التحوّل كثيرين، لكنّه لم يفاجئ من كان يتابع بدقّة حيثيات المشهد العراقي 23 عاماً أعقبت الغزو الأمريكي (2026–2003)، وكيف تحوّلت البلاد تدريجياً إلى «حديقة خلفية» لإيران، تماهى فيها الفاعل الرسمي مع غير الرسمي في دولة تلاشت فيها الحدود الفاصلة بين سلطة القانون واللاقانون. وقبل أيّام، أعلنت الأجهزة الأمنية التركية اعتقال العراقي محمّد باقر السعدي، القيادي في كتائب «حزب الله» العراقي، المقرّب من الحرس الثوري الإيراني، وقد كان ينشط في جبهات المعارك التي خاضها «الحرس» وأذرعه في العراق وسورية على مدى أكثر من عقد ونصف عقد.

جاء الاعتقال، بحسب المُعلَن، بناءً على طلب من واشنطن، إذ نُقل السعدي إلى الولايات المتحدة لمحاكمته بتهم عديدة، من أبرزها التخطيط لنحو 20 هجوماً في أوروبا، ودعم تنظيمات مصنّفةً إرهابيةً مدعومة من إيران، وتقديم الدعم المالي لكتائب «حزب الله» والحرس الثوري، فضلاً عن التخطيط لاستهداف أمريكيين ويهود في لوس أنجلوس ونيويورك. ورغم أنّ بعض التفاصيل المحيطة بعملية الاعتقال قد تفتقر إلى الدقّة، مؤكّد أنّ العملية تمت في الأراضي التركية بطلب أمريكي، ومؤكّد أيضاً أنّ السعدي كان له نشاط بارز في منصّات التواصل الاجتماعي، مستغلّاً إياها لنشر أفكار عملياتية ومخطّطات هجومية، فضلا عن تهديداته المستمرّة، والموثّقة، لناشطين عراقيين عديدين.

ما يستدعي التوقّف عنده مليّاً أنّ السعدي يحمل جواز سفر دبلوماسياً، ما يثير الريبة، فالرجل لم يتقلّد أيَّ منصب رسمي في الدولة العراقية منذ عام 2003، ولم يُسجَّل له أيُّ قيد وظيفي في المؤسّسات الحكومية. فمن أين حصل على وثيقة دبلوماسية تخوّله التنقّل بحرّية من دون تأشيرة بين البلدان؟ هنا الكارثة الحقيقية، إذ ستفتح هذه الحادثة الباب أمام تساؤلات حتمية من القنوات الدبلوماسية الدولية حول معايير منح الجوازات الدبلوماسية في العراق، بعد أن تبيّن أنّها تُمنح لشخصيات ملاحقة دولياً مثل السعدي وغيره.

يشكّل هذا التماهي بين الرسمي وغير الرسمي المعضلة الأبرز في عراق ما بعد 2003. فقد انهارت مؤسّسات الدولة عقب الغزو بفعل قرارات أمريكية بدت للوهلة الأولى ارتجالية، إلّا أنّ الوقائع أثبتت أنّها كانت مدروسةً لإبقاء العراق ضعيفاً ومسلوبَ السيادة، وعلى أنقاض تلك الفوضى «الخلّاقة» التي خلقها الاحتلال، أُعيد تشكيل المؤسّسات العراقية وفق نسق مشوّه.

وفي غمرة هذا المناخ، كان لأذرع إيران (نبتت في كنف الحرس الثوري) اليد الطولى في عملية إعادة التأسيس، مستفيدةً من أنّها السبّاقة في التعاون مع قوى الغزو، فتحوّل الجندي الهارب من الجيش العراقي (واحتضنته طهران لاحقاً، ودرّبته) في الثمانينيّات، إبّان الحرب العراقية الإيرانية، إلى وزير وضابط ومسؤول رفيع، والأسماء هنا أكثر من أن تُحصى.

كانت إعادة تشكيل مشوّهة، عرفت إيران كيف تستثمرها بدقّة، بينما تعامت عنها واشنطن لحاجتها إلى كبح جماح المقاومة العراقية المتنامية آنذاك. ونتيجة لذلك، تضخّمت «الدولة غير الرسمية» (دولة المليشيات) لتصبح هي الواجهة الفعلية للعراق في العديد من المحافل، والمتحدّث الأساس باسمه، حتّى غدا الخطّ الفاصل بين منطق الدولة واللادولة شبه منعدم.

وفي الحرب أخيراً، انخرطت فصائل ومليشيات مسلّحة تحظى بغطاء رسمي (في مفارقة غريبة لدولة تملك مليشياتها الخاصة) في عمليات قصف واستهداف لدول الخليج العربي والأردن إسناداً لإيران.

وبينما كانت الحكومة العراقية تنفي رسمياً تلك الهجمات، كانت هذه الفصائل تبثّ لقطات حيّة لعمليات الإطلاق متبنّيةً إيّاها علناً. والمفارقة الأشدّ مرارةً، أنّ الحكومة لم تقع في حرج حقيقي، بل إنّ بعض الناطقين باسمها انبروا للدفاع عن وجهة نظر تلك الفصائل بذريعة الارتباط العَقَدي، وهو ما يوضّح عمق الكارثة البنيوية التي تعيشها البلاد.

أمام هذا الواقع، يبدو رئيس الوزراء الجديد علي الزيدي (نالت حكومته ثقة البرلمان قبل أيّام منقوصةً منها تسع وزارات بسبب المحاصصة وخلافات الكتل السياسية) أمام مهمّة معقّدة ومزدوجة، فالدعم الأمريكي الواضح له ولحكومته يبقى مشروطاً بقدرته الفعلية على فكّ الارتباط بين الدولة واللادولة، ونزع سلاح الفصائل، وحصر السلاح بيد المؤسّسة العسكرية النظامية.

في المقابل، ستواجه هذه الاشتراطات الأمريكية بمحاولات التواء وتمويه من القوى السياسية النافذة التي تمتلك أجنحةً مسلّحةً؛ فيجري الحديث الآن عن دمج هذه الفصائل وسلاحها تحت مظلّة «الحشد الشعبي». ومعلوم أنّ هذه المؤسّسة (على الرغم من صفتها الرسمية) تضمّ ألويةً تابعةً للغالبية العظمى من المليشيات التي تورّطت في قصف دول الجوار، ما يعني الدوران في حلقة مفرغة.

وفي هذا السياق، جاء الخطاب الأوّل لرئيس الحكومة علي الزيدي محملاً بوعود «استعادة هيبة الدولة» والالتزام بـ«منهج السيادة الكاملة»، وهي لغة دغدغت آمال الشارع المُتعَب، لكنّها تبقى مجرّد «إعلان نيّات» مكرّر مع بداية كلّ تشكيل حكومي جديد، ثمّ ما تلبث أن تصطدم بجدار الولاءات العابرة للحدود، التي تتحكّم بمفاصل القوة الحقيقية على الأرض.

ليس السعدي، الذي كان يتنقل بين الدول بجواز سفر دبلوماسي، الوحيد ولن يكون الأخير، بل هو جزء من حلقة كبيرة وممتدّة ابتلعت المؤسّسات الرسمية في العراق، وحوّلتها إلى مجرّد أدوات بيد الفاعل الحقيقي في السلطة «المليشيات»، ولعلّ فتح ملفّ الجوازات الدبلوماسية في العراق سيفتح ثقباً أسود في منظومة الدولة العراقية التي تشكّلت عقب الغزو الأمريكي عام 2003.

هذه الأسباب كلّها، وغيرها كثير، تدفع إلى القول إنّ العراق سيكون في مواجهة حتمية مع المجتمع الدولي؛ فإمّا أن تمتلك حكومته القدرة والفاعلية التي وعدت بها لإعادة تشكيل المؤسّسات الحكومية بعيداً من سطوة مليشيات السلاح والتبعية، وإما أن البلاد ستجد نفسها أمام معضلة تصنيف دولي وعزلة خانقة تمنعها من أن تكون جزءاً طبيعياً من المنظومة العالمية، وهو سيناريو يحمل تبعات اقتصادية وسياسية كارثية لا تقوى بغداد على تحمّلها.

○ كاتب عراقي.